

## الدور السياسي لليهود في ألمانيا

أ.د. ستار جبار الجابري

مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية/ جامعة بغداد

The Political Role of Jews in Germany

Prof. Dr. Sattar Jabbar al-Jaberi

Center of Strategic and International Studies / University of Baghdad

## Abstract

The presence of Jews in Germany is considered a serious subject in that country which witnessed important transformations in many stages of the history of contemporary Germany. The most difficult stage was in the Nazi era up to the period of the second world war. After that tragedy, Germany paid and still pays the bills of that human catastrophe. Germany is thought to remain restricted to the Jewish debts from which she will be unable to get free. According to formal estimations, Jews in Germany are now to be 120 thousand people out of 82 million Germans living in the country. This represents tenfold of the number that was present in the second world war. The main cause for this increase is the migration to Germany from Eastern Europe and the ex-Soviet Union. The research deals with the history of the Jewish presence in Germany and the basic conditions that collect the German Jews represented by the central council for the Jews of Germany.

## المقدمة :

يعد الوجود اليهودي في ألمانيا من الموضوعات المثيرة في تلك الدولة، وشهد ذلك الوجود تحولات كبيرة في عدد من مراحل تاريخ ألمانيا الحديث والمعاصر، وشهدت أصعب حقبة في العهد النازي وصولاً لسنوات الحرب العالمية الثانية. وبعد تلك المأساة بدأت ألمانيا، ولا زالت، تدفع فواتير تلك الكارثة الإنسانية، حتى عدت ألمانيا بأنها كانت وستبقى مكبلة بإرث الدين اليهودي الذي لن تتمكن من الخلاص من أعبائه التاريخية .

ويقدر عدد اليهود في ألمانيا الآن بنحو 120 ألف شخص من إجمالي 82 مليوناً هم إجمالي عدد السكان، بحسب تقديرات رسمية، وهو عشرة أضعاف العدد الذي كان موجوداً في الحرب العالمية الثانية، والسبب الرئيس في هذه الزيادة هي أعداد المهاجرين إلى ألمانيا من أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتي السابق.

سيتناول البحث تاريخ التواجد اليهودي في ألمانيا، وأوضاع اليهود الأساسية التي تجمع اليهود الألمان، وهي المجلس المركزي لليهود ألمانيا.

## أولاً : تاريخ الوجود اليهودي في ألمانيا

يعود استقرار بعض الجماعات اليهودية في ألمانيا إلى الحملات الرومانية، وكونت الجماعات اليهودية الأولى جزءاً من المدن الرومانية العسكرية على نهري الراين والدانوب، وكان أول وأهم هذه المعسكرات معسكر كولونيا، ومن ثم استوطن يهود آخرون في ألمانيا أثناء حكم شارلمان والإمبراطورية الكارولنجية، وورد في القرن العاشر ذكر تجمعات يهودية في أوجسبورغ وورمز وميتز .

وكان أعضاء الجماعات اليهودية إبان حكم الإمبراطورية الكارولنجية تحت حماية الإمبراطور، يتبعونه ويقدم هو لهم الموائيق والحماية والمزايا . وكانت علاقة الكنيسة بهم، ولاسيما الأساقفة طيبة على وجه العموم، وكان لليهود رئيسهم الديني الدنيوي الذي كان يسمى " الأرش سينا جوجوس " أو رئيس المعبد، كما كان يطلق عليه اسم " أسقف اليهود " <sup>1</sup>. وأثناء حملة الفرنجة الأولى قام الأساقفة والملوك بحماية أعضاء الجماعات اليهودية من السخط الشعبي عليهم، فأصدر هنري الرابع عدة موائيق عام 1090 تؤكد الحقوق التي حصلوا عليها في العهد الكارولنجي بشأن حماية ممتلكاتهم

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، المجلد الأول، الطبعة الخامسة، دار الشروق، د.م، 2009، ص 441-442 .

وأرواحهم وحققهم في حرية السفر والعبادة، وكان أعضاء الجامعات اليهودية معفيين من الضرائب، وكان لهم حق التقاضي فيما بينهم وحق الفصل في الأمور اليهودية المختلفة مثل الزواج والطلاق والتعليم، أي كانت لهم إدارتهم الذاتية . وأصبحت حماية أعضاء الجماعات اليهودية جزءاً من القانون العام، ونعموا بحماية الإمبراطور، ومنح فردريك الأول ميثاقاً لحماية الجماعات اليهودية العام 1157، استخدم فيه ولأول مرة مصطلح " أفنان بلاط "، وأدى هذا الوضع إلى ازدياد التصاق أعضاء الجماعة بالسلطة الحاكمة، ولكن حمايتهم بشكل كامل لم تكن أمراً ممكناً، لأن العداوة ضدهم كانت مسألة متأصلة، ذات طابع جماهيري عام<sup>1</sup>.

وبحلول القرن السادس عشر كانت السلطة المركزية في ألمانيا قد اختفت تقريباً، فتم عزل أعضاء الجماعات اليهودية داخل الجيتوات، وفرضت عليهم قوانين مهينة، وطردوا من كثير من المدن والإمارات الألمانية، ولكن لم يطردوا تماماً من كل ألمانيا. وشهدت تلك الحقبة بدايات ظهور الرأسمالية التجارية، وكان لليهود دور كبير فيها، إذ دخلت الطبقات التجارية الصاعدة من سكان المدن في صراع مع الأمراء ورجال الكنيسة، وكان اليهودي هو حلبة الصراع، إذ أراد كل طرف جذبه والإفادة منه كونه عنصراً تجارياً . فضلاً عن ذلك فقد شهدت تلك الحقبة أيضاً ظهور مارتين لوثر الذي طرح ضرورة تنصير اليهود، ومع نهاية القرن السادس عشر لم يبق سوى بضعة جماعات يهودية في فرانكفورت وورمز . وتركت حرب الثلاثين عاما (1618-1648) أثرها العميق في يهود ألمانيا، فبعد انتهائها أصبحت ألمانيا مجموعة غير متماسكة من الدويلات المستقلة تحت حكم حكام مطلقين . وكان اليهود عنصراً أساسياً في عملية إعادة البناء والتجارة، ومصدراً أساسياً للضرائب، كما أصبحوا جزءاً لا يتجزأ من النظام الاقتصادي الجديد<sup>2</sup>.

وشهد القرن السابع عشر استقرار يهود المارانو في هامبورغ، وأسسوا بنك هامبورغ، وبدأت هجرة يهود شرق أوروبا من بولندا إلى هامبورغ . وظهر في هذه الحقبة الدور المؤثر لليهود في بلاطات الأمراء الألمان، فكانوا بمنزلة وزراء الخارجية والمالية ورئيس المخابرات، وكانوا يجمعون المعلومات، وأصبحوا أداة مهمة في يد الحكام المطلقين الألمان<sup>3</sup>. ومع بدايات القرن الثامن عشر وظهر جهاز الدولة القوي، لم يعد هناك حاجة ليهود البلاط، ولا إلى الجماعات اليهودية كجماعة وظيفية وسيطة، وبدأت محاولات ضبط اليهود، فأصدرت الولايات الألمانية، وأهمها بروسيا نظاماً مختلفة للإشراف على اليهود لتنظيم سائر تفاصيل حياتهم، وكانت هذه القوانين تنظم حقوقهم وامتيازاتهم كما تحدد دخولهم، ومدى أحقيتهم في الاستيطان، ومدى بقائهم، وعدد الزيجات التي يمكن أن تتم، وعدد الأطفال المصرح بإنجابهم، ومسائل الوراثة، وحتى السلع التي يحق لهم شراؤها .

وتأثر وضع يهود ألمانيا بالثورة الفرنسية التي عجلت بعملية إعتاقهم، وبعد سقوط نابليون تقهقر وضعهم قليلاً، ولكنهم منحوا حقوقهم إبان القرن التاسع عشر، وازداد اندماجهم بدرجة كبيرة، وظهرت بعد ذلك حركة التنوير، واليهودية الإصلاحية، والاتجاهات اليهودية الأخرى . ومع منتصف القرن حصل اليهود على معظم حقوقهم، وخلال الحقبة 1871-1914 حصلوا على حقوقهم كاملة، واندمجوا في المحيط الثقافي تماماً، فتصرت نسبة عالية من متقفيهم مثل هايني ووالد كارل ماركس وغيرهم، واختفت أعداد كبيرة منهم عن طريق الزواج المختلط .

والجدير بالذكر أن وضع اليهود تحسن كثيراً في ألمانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولاسيما بعد توحيد ألمانيا، فقد كان ثلاثة من أهم مستشاري بسمارك من اليهود، وكان بسمارك يؤمن بإمكانية استخدام اليهود دائماً في مشاريعه، وظهر ذلك ارتجاء بشكل أوضح في تفكير إمبراطور ألمانيا ويلهلم الثاني الذي كان يرى إمكانية استخدام اليهود في مشاريعه الاستعمارية، وكان واعياً بالقدرات المالية لليهود وحجم اتصالاتهم الدولية، وكانت مفاوضات هرتزل مع

<sup>1</sup> عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، 442 /1 .

<sup>2</sup> Encyclopedia Judaica , Vol. 7 , Paris , 1950 , P. 757 .

<sup>3</sup> عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، 443 /1 .

إمبراطور ألمانيا تدور داخل هذا الإطار، وتتطلق من هذا التفاهم الضمني<sup>1</sup>، وكان من الممكن أن يتم دمج اليهود الألمان وتحديثهم على نمط يهود الغرب، فيهود ألمانيا يعدّون أنفسهم على يهود الغرب، باعتبار أن يهود شرق أوروبا هو يهود الشرق، كما أن ارتباط يهود أوروبا بالثقافة الألمانية كان واضحاً . ولكن ثمة ظروف خاصة بهم وببنية المجتمع الألماني أدت في النهاية إلى تصفيتهم وتصفية يهود أوروبا خارج الاتحاد السوفيتي<sup>2</sup>.

ولا يختلف نمط تطور التربية والتعليم عند الجماعة اليهودية في ألمانيا عن النمط العام للتطور في أوروبا الغربية ووسطها. ومع هذا، تشكّل المرحلة النازية انحرافاً عن النمط، فمع ظهور النازية، مُنع الأطفال اليهود من دخول المدارس الألمانية، وذلك انطلاقاً من اعتقاد النازيين بأن اليهود يشكلون شعباً عضواً له لغته وتراثه وأرضه ومن ثم لا يجوز له أن يندمج في الشعب الألماني. ولذا، أسس النازيون، بالتعاون مع الحركة الصهيونية، مدارس يهودية ابتدائية وثانوية تُركّز على تعليم العبرية وتهدف إلى تقوية ما يُسمّى " الهوية اليهودية " المستقلة. كما أسسوا معاهد مهنية لتأهيل الشباب اليهودي الذي يفكر في الاستيطان في فلسطين أو في أية دولة أخرى. وبلغ عدد الشباب الذين تم تأهيلهم في هذا المعهد نحو 60 ألف شاب وشابة. وقد اختفت هذه المؤسسات التعليمية بعد تصفية يهود ألمانيا من خلال الهجرة أو الإبادة أثناء الحرب العالمية الثانية، وقد استخدم مصطلح إبادة اليهود " الهولوكوست " في الخطاب السياسي الغربي على محاولة النازيين التخلص أساساً من أعضاء الجامعات اليهودية في ألمانيا والبلدان الأوروبية التي وقعت في دائرة النفوذ الألماني عن طريق تصفيتهم جسدياً .

وقد بدأ النظام النازي حملته على اليهود عقب تعيين هتلر مستشاراً في 30 كانون الثاني 1933، ففي نيسان من العام نفسه نظمت مقاطعة للأعمال التجارية اليهودية، ثم استبعد اليهود من الوظائف العامة، وفي نيسان 1935 استبعد الأطفال اليهود من النظام التعليمي، وفي أيلول من العام نفسه صدرت قوانين نورمبرج التي نزلت من أعضاء الجامعة اليهودية حقهم في أن يكونوا مواطنين بالرايخ، تنفيذاً لفكرة الشعب العضوي، والشعب العضوي المنبوذ، ومنعت الزيجات المختلطة بين اليهود والآريين<sup>3</sup>.

وفي عام 1938 منع اليهود من العمل في الوظائف الوسيطة، كأن يكونوا وكلاء وبائعين ومديري عقارات . وأدى اغتيال عضو في السفارة الألمانية في باريس على يد يهودي بولندي في 9-10 تشرين الثاني 1938 إلى قيام ثورة شبيهة ضد اليهود تعرف باسم " كريستال ناخت " أي " ليلة الزجاج المحطم "، أحرق خلالها أربع مائة معبد، ونهب الكثير من المتاجر والمنازل الخاصة، وتم القبض على الألوف منهم، وفرضت على اليهود ككل، وبعد ذلك بدأ النظام النازي في عملية الإبادة والحل النهائي النازي للمسألة اليهودية، والتي استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية<sup>4</sup>.

وفي عام 1948، كان عدد أعضاء الجماعة اليهودية في ألمانيا عشرين ألفاً فقط، بلغ عام 1992 نحو 50000 من مجموع عدد السكان البالغ 80606000، ويبدو أن الزيادة ناجمة عن هجرة أعداد كبيرة من اليهود مرة أخرى إلى ألمانيا، من بينهم أعداد كبيرة من الإسرائيليين الذين تركّزوا في مهن مشينة مثل الاتجار بالمخدرات والبغاء. ونشير هنا إلى بعض التنظيمات والمؤسسات الخاصة بأعضاء الجماعة اليهودية في ألمانيا<sup>5</sup>:

أ) المجلس المركزي لليهود في ألمانيا. وهي المنظمة المركزية للجماعة اليهودية في ألمانيا والجهة التي تمثلهم لدى المؤتمر اليهودي العالمي ومقرها دوسلدورف. وتقوم برعاية المصالح السياسية للجماعة ورعاية المسائل الخاصة بالتعويضات، كما تهتم بمراقبة أي علامات قد تشير إلى احتمال بعث النازية.

ب) النداء اليهودي الموحد. وهي المنظمة الأساسية المسؤولة عن جمع التبرعات وتبوير الموارد المالية ومقرها فرانكفورت.

<sup>1</sup> يوري ايفانوف، حذار من الصهيونية، ترجمة محمد كامل، بغداد، 1969، ص 29 .

<sup>2</sup> عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، 1/ 443 .

<sup>3</sup> Encyclopedia Judaica , Vol. 7 , Paris , 1950 , P. 757 .

<sup>4</sup> عبد الوهاب المسيري، المصدر السابق، 180/1 .

<sup>5</sup> وليك غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة سعيد جزائري، بيروت، 1988، ص 57 .

(ج) المجلس المركزي لخدمات الرفاه الاجتماعي لليهود ألمانيا، ومقرها فرانكفورت. وهي المنظمة الأساسية العاملة في المجالات الخيرية ومجال الخدمة الاجتماعية.

(د) مؤتمر حاخامات ألمانيا الغربية. وهو الإطار الذي يضم الحاخامات الذين يقومون بمهامهم الدينية بين أعضاء الجماعة اليهودية في تجمعاتهم المختلفة.

### يهود ألمانيا في عهد جيرهارد شرويدر وأنجيلا ميركل:

قام رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود باراك في 22 أيلول 1999 بزيارة معسكرات الاعتقال في ساكسينها بألمانيا على هامش زيارته الرسمية، مصطحبا معه المستشار الألماني جيرهارد شرويدر، وانتهاز باراك الزيارة كالعادة لابتزاز دعم ألماني غير محدود للتكفير عن (المحرقة)، رافضا التسامح مع النازيين مرتكبي جرائم حرق اليهود في أفران الغاز، في حين تعهد شرويدر بعدم السماح بتكرار ما حدث. واكتسى وجه باراك بالحزن والتجهم وهو يتجول في أرجاء معسكر الاعتقال وبرفقته شرويدر. وقال شرويدر في كلمة ألقاها أمام فرن إحراق الجثث في المعسكر (إن اسم ساكسينها وزن وأسماء غيره من المخيمات تعني الجرائم الأكثر فظاعة التي ارتكبت في تاريخ ألمانيا). وقال شرويدر الذي اعتمر القلنسوة اليهودية وتعهد الدفاع عن اليهود أن السبيل الوحيد للتغلب على ذكرى الجرائم النازية ضد الإنسانية هو الإبقاء على تلك الذكرى حية. وأعلن شرويدر أنه "يجب ألا يسمح بحدوث ساكسينها وزن وأوشفيتس وتربيلينكا مرة أخرى في أي مكان من العالم". وقال باراك الذي كان يتحدث العبرية أن من ارتكبوا المحرقة لا يمكن أن يغفر لهم. وأضاف "سوف ندافع عن كل يهودي في أي مكان (من العالم) ونقسم على أنه طالما بقي فينا نفس فلن يكون هناك أوشفيتس، ولن يتم اقتياد اليهود إلى غرف الغاز". ودعا باراك كافة الشعوب إلى مكافحة المعاداة للسامية والنزعات النازية وقال "نعد بأن نقف إسرائيل على الخطوط الأولى لهذا النضال". وقد وضع شرويدر وباراك أكاليل من الزهور على ما يسمى (محطة زي) وبقايا المشانق والأفران في المعسكر. وقد رافق باراك في جولته عدد من الناجين من المحرقة النازية (الهولوكوست) بمن فيهم شيفاخ فايس الرئيس السابق للكنيست الإسرائيلي. وقال باراك إن زيارة معسكرات الاعتقال هو (واجب أخلاقي)، غير أنه أكد بأن ألمانيا مرت بتغييرات كبيرة في الجيلين الماضيين بحيث أصبحت بلدا (ديمقراطي حي)<sup>1</sup>.

وبينما كانت الانتخابات الألمانية تمضي ساخنة في أيلول 2005، كان العالم يراقب صعود أول امرأة لمنصب مستشار ألمانيا. فقد حققت أنجيلا ميركل أغلبية طفيفة بحزبها المسيحي الديمقراطي على حساب حزب شرويدر الاشتراكي الديمقراطي، وتم الاتفاق على أن تحكم المرأة القادمة من ألمانيا الشرقية سابقا أهم دولة في أوروبا. وكان أهم المتابعين للانتخابات الألمانية الإسرائيليون الذين يعدون ألمانيا حالة خاصة في الماضي والحاضر. وكان التساؤل الذي يدور في ذهن إسرائيل هو: هل ستغير الانتخابات مسيرة العلاقات الألمانية الإسرائيلية؟ والإجابة المباشرة عن هذا السؤال هي: لا، ذلك أن إسرائيل واثقة من استمرار الوضع كما هو عليه، وربما تحصل على مزيد من المكاسب في ظل حكم حزب أديناور أول من ابتدع فكرة التعويضات لإسرائيل<sup>2</sup>، وظل يردد أن ألمانيا مسؤولة عن مستقبل إسرائيل وأمنها<sup>3</sup>.

وبعد وصول ميركل للمنصب الأول في ألمانيا تساءل اليهود: هل ستغير أبعاد العلاقة؟ والحقيقة أن هناك إجماعا انتهازيا على أن إسرائيل ستستفيد من ميركل أكثر مما فعلت مع شرويدر الذي وصفه كثير من اليهود بأنه "لم يكن أبدا مخلصا

<sup>1</sup> جريدة البيان الإماراتية، 23 أيلول 1999.

<sup>2</sup> كانت سلسلة من الضغوط الأمريكية على حكومة أديناور منذ 1945 أدت إلى اتفاقية التعويضات في أيلول 1952، إذ اضطر المستشار العجوز إلى التوقيع على اتفاقية تلزم ألمانيا الاتحادية "الغربية" بتقديم تعويضات كبيرة لليهود. ولم تقم ألمانيا الشرقية وقتئذ بأي مبادرة خنوع لأنها كانت جزءا من حلف وارسو الشيوعي. وجاء في حيثيات الاتفاقية أنها مخصصة "للدعم الموقف الاقتصادي الصعب لإسرائيل"، وقد كانت الأموال مخصصة فعلا لمساعدة إسرائيل على استيعاب أكبر قدر من المهاجرين.

<sup>3</sup> ستار جبار الجابري، علاقات ألمانيا الاتحادية مع إسرائيل 1949-1990، مجلة دراسات في التاريخ والآثار، العدد 24، صيف 2011، ص 288.

لإسرائيل" وهو دليل على ضراوة الانتهازية اليهودية حيث يطلبون الإذعان الكامل أو الهجوم. وقال أحد القادة اليهود "إن شرويد كان إذا تصارعت مصالح بلاده مع مصالح إسرائيل لجأ إلى الاختباء خلف الإجماع الأوروبي في بروكسل". وقد ثبت صدق هذا الرأي خاصة أثناء الحملة الانتخابية حيث تسابق شرويد وميركل على كسب ود اليهود، ربما تقربا من الولايات المتحدة أو رضوخا لضغوطها، إذ أصبح جليا أن معظم ضغوط واشنطن على الحلفاء والخصوم تتم لصالح إسرائيل وتكريسها كزعيمة لما تسميه واشنطن وإسرائيل الشرق الأوسط الجديد.

أما يوشكا فيشر وزير خارجية ألمانيا السابق ورئيس حزب الخضر فكان واضحا عندما قال إن الأولويات الألمانية في السياسة الخارجية تتمثل في:

أ. أوروبا موحدة. ب. علاقة قوية مع الولايات المتحدة. ج. حق إسرائيل في البقاء والرخاء.

وقد ترنمت ميركل بالعلاقة مع إسرائيل ووصفتها بـ "الكنز الثمين" الذي ينبغي أن نحافظ عليه<sup>1</sup>. والعلاقات الألمانية الإسرائيلية كما يقول الإسرائيليون هي علاقات خاصة على الأصدقاء السياسية والإستراتيجية والاقتصادية والثقافية والتعليمية، وألمانيا هي أقرب حلفاء إسرائيل لها وأكثرها طاعة لمتطلباتها.

فألمانيا منذ هزيمة هتلر سنة 1945 تتعرض لأكبر حملة ابتزاز في التاريخ، فهي عدوة السامية وعليها تسديد فواتير هتلر، وقدمت ألمانيا في 1965 لإسرائيل صفقة الدبابات لبارد التي كانت العصب الرئيس لسلاح المدرعات الإسرائيلي في معركة 1967، وأدت إلى كارثة الهزيمة التي يدفع العرب ثمنها حتى الآن. وألمانيا أمطرت إسرائيل بكل ألوان التعويض المالي من ذهب وماركات وقدمت لها دعما تقنيا متطورا في مناحي الصناعة والإنتاج كافة.

وإذا انتقلنا عبر الزمن إلى الوقت الراهن، فإن العلاقات الألمانية الإسرائيلية مازالت في ذروتها، وقد صرح رون بروسور مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلية أن تلك "العلاقة الخاصة مع ألمانيا بدأت قبل بدء العلاقات الدبلوماسية وكان قوامها المفاهيم التاريخية المشتركة والاعتبارات الدبلوماسية"، على حد قوله<sup>2</sup>. والحقيقة أن اليهود حريصون على إغراق الألمان في عقدة الذنب، بحيث يعلن الألمان أن العلاقة مع إسرائيل ليست ملفا في مجال العلاقات الدولية، ولكنه قضية داخلية يجب أن يعايشها كل ألماني (لأن كل ألماني محكوم عليه يهوديا بأن يسدد فواتير التاريخ).

والراصد للعلاقات الألمانية الإسرائيلية في عام 2005 مثلا سيجد روابط شديدة القوة وعلاقات هائلة النفع لليهود تمثلت في روابط إستراتيجية وأمنية وعلاقات حزبية وبرلمانية وثيقة فضلا عن التعاون الوثيق في كل مجالات الاقتصاد والتبادل اليومي للبرامج في مجالات متعددة (التجارة، الصناعة، العلوم، الثقافة، توأمة المدن، زيارات الشباب، الاتحادات العمالية، النقابات والرياضة، بل الفنون والموسيقى). بحيث لا نبالغ إذا قلنا إن ألمانيا تقدم لإسرائيل كل شيء، ولا يفوقها إلا الولايات المتحدة التي تقدم الحماية العسكرية والسياسية والأدبية لإسرائيل. ولكن الولايات المتحدة تستفيد من إسرائيل كورقة ضغط على العرب، وقاعدة متقدمة لحماية مواردها النفطية وإشغال العرب بقضايا تجعلهم بحاجة دائمة إلى المظلة الأمريكية. أما في الحالة الألمانية فإن ألمانيا لا تحصل على شيء. فهي الأرقى تقنيا وعلميا وحضاريا وثقافيا وماليا وهي دعامة الاتحاد الأوروبي ولا تحصل على أية مكاسب من إسرائيل لأنها لا تطمع في شيء من المنطقة<sup>3</sup>.

على صعيد الزيارات التي تقوي العلاقات بين ألمانيا وإسرائيل قام الرئيس الألماني هورست كوهلر بزيارة إسرائيل وخاطب الكنيست، مؤكدا استمرار الالتزامات الألمانية تجاه إسرائيل، وقال بالحرف الواحد: "إن ألمانيا تضمن أن تعيش إسرائيل في حدود معترف بها متحررة من الخوف والإرهاب، وهذا هو الاتجاه الألماني الذي لن يتغير أبدا، وإن بلادي ستقف دائما وراء إسرائيل وشعبها". وفي الوقت نفسه وقف أرييل شارون ليؤكد أن هناك يومين يمثلان الرمز الثابت في العلاقة الألمانية الإسرائيلية وهما تحرير معسكر أوستفيتز وبدء العلاقات مع إسرائيل. وأشاد شارون باستمرار التطور

<sup>1</sup> فائق فهميم، العلاقات الخاصة بين ألمانيا وإسرائيل، جريدة الاقتصادية (أبو ظبي)، العدد 4499، 4 شباط 2006.

<sup>2</sup> المصدر نفسه.

<sup>3</sup> ستار جبار الجابري، المصدر السابق، ص 314.

والتوسع في مجالات العلاقات بين الدولتين، لاسيما التزام ألمانيا بأمن إسرائيل ورخائها. وأشار شارون إلى أن الدعم الألماني قوي وملمس.

وفي زيارة قام بها الرئيس الإسرائيلي موشي كاتساف ألمانيا في أيار 2005 خاطب البرلمان الألماني في برلين وحذر من تصاعد معاداة السامية، وطالب الألمان بالاستمرار في دعم "العلاقة الخاصة" للتصدي للشمولية ومن أجل القيم الإنسانية وضد العنصرية<sup>1</sup>.

### دور المجلس الأعلى لليهود في ألمانيا :

عدّ السكرتير العام للمجلس المركزي لليهود في ألمانيا<sup>2</sup> شتيفان كراما أن ما يجري في إسرائيل يهدد بتحولها إلى دولة للقوى الأصولية والقومية اليهودية المتطرفة، ودعا كراما إلى إبداء تفهم أكبر لليهود ألمانيا العاجزين عن توجيه انتقادات للسياسة الإسرائيلية، وقال : " إن هؤلاء يعدون إسرائيل هوية بديلة لهم، لأنهم يشعرون بالغربة في المجتمع الألماني رغم ما قاموا به من محاولات للاندماج فيه " .

وجاءت تصريحات كراما ضمن مقابلة نشرتها صحيفة تاغستسايتونغ البرلينية، التي أجرت خلالها مناظرة بينه وبين إيزيس هيفيتس القيادية بمنظمة "الصوت اليهودي لسلام عادل في الشرق الأوسط" المناهضة للصهيونية. وقالت هيفيتس "إن إسرائيل مطالبة بالاندماج في المنطقة المحيطة بهم، وعلى مواطنيها تعلم العربية لأنها لغة جيرانهم وليس لاستخدامها لأغراض عسكرية " . وأضافت "يتعلم الهولنديون لغة جيرانهم الألمان، في حين يحتقر الإسرائيليون الثقافة العربية رغم جهلهم بها، ويبجلون الثقافة الألمانية التي أبادتهم، وهذا أعده جنوناً " .

ودعت الناشطة الإسرائيلية إلى الاعتراف بأنهم جاؤوا إلى أرض غير أرضهم، والإقرار بأن دولتهم بنيت على حساب معاناة الفلسطينيين، وخلصت إلى أن "ما يتمناه عامة اليهود هو دولة تحترم عطلتهم الدينية يوم السبت "<sup>3</sup>.

وطالب الرئيس الجديد لأكبر منظمة يهودية في ألمانيا اليهود بتجاوز دور الضحية، والكف عن لوم المجتمع الألماني وتحمله مسؤولية ما يسمى بمحارق النازية (الهولوكوست)، في مؤشر على تغيير الأساليب التي يتبعها اليهود للحصول على مزيد من المكاسب من ألمانيا مع تراجع عدد الشهود على تلك المحارق.

وفي حديث نشرته صحيفة "فاينانشال تايمز دويتشلاند" في 29 كانون الأول 2010، قال ديتير جراومان<sup>4</sup>، رئيس المجلس المركزي لليهود في ألمانيا، وهو أكبر ممثل لليهود هناك، إن دور الضحية "لم يعد كافياً؛ فاليهودية أكبر من ذلك بكثير". وقد أثمرت جهود المجلس اليهودي جيداً في عام 2003 عندما أقر البرلمان الألماني "البوندستاغ" قانوناً يعزز العلاقات بين البرلمان والمجلس، ويلزم الحكومة بتخصيص خمسة ملايين يورو سنوياً لبناء مجتمعات جديدة تستوعب المهاجرين اليهود إلى ألمانيا.

وأوضح جراومان أنه "مع كل الاحترام اللازم لتكريم ذكرى ملايين اليهود الذين قتلوا في محارق النازية، يجب على المجلس المركزي لليهود أن يغير ما يشاع عن أننا لا نهتم سوى بانتقاد الآخرين". ويشير جراومان الذي تولى رئاسة المجلس نهاية تشرين الثاني 2010 بهذه التصريحات إلى ما دأب المجلس عليه من مساعي لإشعار ألمانيا بـ"الذنب" تجاه

<sup>1</sup> فائق فهميم، المصدر السابق .

<sup>2</sup> تأسس المجلس المركزي لليهود في ألمانيا في 19 تموز 1950 لهدفين رئيسيين: الأول هو ترسيخ عقدة الذنب في المجتمع الألماني تجاه اليهود وتشريع قوانين تحتم عليه تقديم تعويضات وامتيازات لهم، والثاني هو دمج من تبقى من يهود في ألمانيا ومن عادوا أو هاجروا إليها بعد الحرب داخل المجتمع وتعزيز شأنهم. وأعلن المجلس أن الهدف الأول هو "واجب أخلاقي" يجب اعتناقه دائماً، وهو ما كان يثير في بعض الأحيان انتقادات حادة من مفكرين وكتاب ألمان، مثل مارتين والسر، الذين ضجوا من المحاولات اليهودية لإشعار ألمانيا بـ"ذنب" اقترفته قلة بائدة.

<sup>3</sup> ينظر الرابط:

<http://www.aljazeera.net/news/pages/d15dafc6-5392-4d32-b853-0b67c813f48b>

<sup>4</sup> يعد جراومان هو أول رئيس للمجلس لم يعاصر الحقبة النازية، فقد ولد في إسرائيل عام 1950، وهاجر إلى ألمانيا مع أبويه طفلاً رضيعاً، وكان من تقاليد المجلس أن يترأسه أحد ممن عاصروا هذه الحقبة، ومن الفارين من "المحارق"، غير أن قلة عدد المتبقين من هؤلاء ربما دفعت لاختيار جراومان.

اليهود، كونها الدولة التي خرجت منها النازية بقيادة الزعيم الألماني أدولف هتلر، والتي يقال إنها أحرقت ملايين اليهود في محارق، وطردت آخرين، وهو رقم يشكك في صحته مؤرخون من داخل وخارج أوروبا .

واستغل اليهود مشاعر "الذنب" التي غرسوها في المجتمع الألماني في الحصول على مكاسب سياسية وتعويضات مادية كبيرة، استفاد منها يهود ألمانيا وإسرائيل على السواء، حتى أن ألمانيا تعد بشكل عام من أقوى الداعمين لإسرائيل. واعترف جرومان في حديثه بأن الغضب من الآخرين كان من المراسم الراسخة للمجلس، غير أنه أرجع ذلك في جانب منه إلى الإعلام "الذي يستفزنا للإدلاء بتصريحات ضد الآخرين، ولكن ليس من الضروري أن نستجيب له"، بحد قوله. وبهذا تعد لهجة جرومان إزاء الألمان فيما يتعلق بـ"الهولوكوست" أقل حدة من أسلافه في رئاسة المجلس، إذ عرف عنهم التصريح الدائم بانتقادات ضد ما يسمى بانتشار "العداء للسامية" في ألمانيا ضد اليهود، وتحميل السلطات الألمانية المسؤولية، فضلاً عن تحميل ألمانيا كلها مسؤولية "محارق النازية" و"معاناة اليهود". ويبدو أن التوجه الجديد الذي تحدث عنه جرومان في أسلوب التعامل مع المجتمع الألماني يعبر عن تغيير في توجه المجلس بشكل عام، فقد صرحت الرئيسة السابقة للمجلس شارلوت كنولوخ، أنها أدركت أن الأسلوب القديم لم يعد مناسباً في الحقبة القادمة. ويررت ذلك بقولها قبل أشهر من تركها المنصب : "في غضون سنوات قليلة لن يتبقى الكثير من الضحايا أو الجناة (لتقدمهم الشديد في العمر)، ولذا يجب أن ندرك أن هدفنا لن يكون تذكير ألمانيا بذنبها ونقدها، ولكن إشعارها بصفة مستمرة بالمسؤولية التاريخية".

وفي حديثه لصحيفة "فاينانشال تايمز دويتشلاند" قال الرئيس الجديد إن مهمته الأولى هي دمج اليهود المهاجرين من شرق أوروبا والاتحاد السوفيتي السابق في المجتمع الألماني، داعياً في ذات الوقت إلى إقامة علاقة وثيقة مع مسلمي ألمانيا، وإن أشار أيضاً إلى اعتقاده في تنامي المشاعر المعادية للسامية "بقوة" بين الشباب المسلمين<sup>1</sup>.

وقد فاجأ رئيس مجلس اليهود الأعلى في ألمانيا ديتر جرومان في 12 آذار 2011 الأوساط السياسية الألمانية والمهتمين بالاعتراف بكون الدين الإسلامي جزءاً من ألمانيا. وقال جرومان في تصريحات للصحيفة الألمانية (بيلد أم زونتاغ) أن نفي وزير الداخلية الألماني الجديد هانسي بيتر فريديش لدور الإسلام في التأثير على أوروبا وألمانيا من الناحية التاريخية هو "نقاش لا يساهم في إحداث تقدم" على صعيد حل المشاكل الاجتماعية العالقة في ألمانيا. ووجه رئيس المجلس انتقادات لأقوال وزير الداخلية الألماني، مؤكداً أن الإسلام في الوقت الحاضر جزء مهم من المجتمع الألماني مشيراً إلى صعوبة إنكار دوره في الماضي في التأثير الكبير على أوروبا وألمانيا على غرار المسيحية واليهودية. وثمن جرومان خطاب الرئيس الألماني كريستيان فولف الذي ألقاه في الثالث من تشرين الأول 2010 بمناسبة احتفالات الوحدة الألمانية واعترف فيه بكون الدين الإسلامي جزءاً من ألمانيا، مفعراً بذلك نقاشاً حول دور الدين الإسلامي في المجتمع الألماني<sup>2</sup>.

وفي 10 أيار 2011 انتقد المجلس المركزي لليهود في ألمانيا بشدة اتفاق المصالحة الفلسطينية الذي وقع في القاهرة بين منظمة فتح وحركة حماس، ودعا الساسة الألمان إلى رفض الحوار مع حماس، متهما الحركة بالدعوة إلى تدمير إسرائيل، وقتل كل اليهود في العالم . وعدّ رئيس المجلس ديتر جرومان أن اتفاق المصالحة يضر بعملية السلام مع إسرائيل، ووصف التقارب بين فتح وحماس بـ "التأخي الكارثي" . وقال في مقابلة مع الإذاعة الألمانية إنه رفض طلباً من رئيس السلطة الفلسطينية للاجتماع به خلال زيارته لبرلين حتى لا يعطي مشروعياً للاتفاق الذي وقعه عباس مع رئيس المكتب السياسي لحركة حماس<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ينظر الرابط:

<http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/newsreports/muslim-minoritie/127429-2010-12-29-12-08-05.html>

<sup>2</sup> ينظر الرابط:

[http://www.aleqt.com/2011/03/12/article\\_513878.html](http://www.aleqt.com/2011/03/12/article_513878.html)

<sup>3</sup> جريدة الشرق الأوسط (لندن)، 11 أيار 2011 .

وقد دعا رئيس المجلس اليهودي المركزي في ألمانيا في 31 آب 2012 أكبر جالية إسلامية في البلاد إلى بذل مزيد من الجهد لمواجهة معاداة السامية، وذلك بعد تعرض حاخام يهودي للضرب في وضح النهار. وقال ديتير جرومان في تصريحات لصحيفة Berliner Zeitung الألمانية "سأكون سعيدا إذا تمكن المسلمون من التعامل بحسم مع الاتجاه نحو معاداة السامية فيما بينهم". وجاءت التصريحات بعد أن قالت مصادر بالشرطة إن "بعض الشباب العربي" هم من المشتبه في "تورطهم" في الحادث.

وأعرب رئيس الجالية الإسلامية أيمن مازيك بالنيابة عن الجالية عن "عميق اشمئزاه" من حادث الضرب الذي تعرض له حاخام يهودي، يبلغ من العمر 53 عاما، أمام ابنته الصغيرة. وقال جرومان إن الأقوال والتعاطف مقدران لكن "الأفعال أكثر أهمية" على حد قوله.

وتسود مشاعر الغضب بين أفراد الجالية اليهودية في ألمانيا بعد الحادث حينما أوقف أربعة شبان شخص يرتدي غطاء الرأس التقليدي اليهودي في أحد شوارع برلين وقاموا بضربه بعد أن سألوهم ما إذا كان يهوديا أم لا. وقال الكاهن اليهودي دانيال التر "لا أعرف ما إذا كنا سنتمكن من السير في شوارع العاصمة مرة أخرى دون خوف أم لا".<sup>1</sup> عقد المجلس الأعلى لليهود في ألمانيا في 25 تشرين الثاني 2012 اجتماعه السنوي في مدينة فرانكفورت بحضور المستشار الألمانية أنجيلا ميركل التي ألقى كلمة فيه. وبعد انتهاء كلمتها غير الرسمية أمام ممثلي الطائفة اليهودية أصدرت المستشار بياناً صحفياً بالاشتراك مع رئيس المجلس الأعلى لليهود ديتير جرومان. وتعدّ الجمعية العامة للمجلس الهيئة العليا له، وتصدر الميزانية وتراقب العمل التنفيذي للمجلس، ويختار كل ألف عضو من الطائفة اليهودية شخصا يمثلهم بالجمعية العامة للمجلس.

يُذكر أن ألمانيا صدّقت في أواخر العام 2012 على اتفاقية جديدة تمنح بموجبها تعويضات تناهز نصف مليار يورو لثمانين ألف ضحية جديدة لما يسمى المحرقة اليهودية بأوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق. وتعد الاتفاقية الجديدة التي وقعها وزير مالية ألمانيا فولفغانغ شوبيله مع رئيس منظمة التعويض اليهودي يوليوس بيرمان بالخامس عشر من تشرين الثاني 2012 بمقر المتحف اليهودي في برلين، ثلاثة اتفاقية تعويض تلتزم بها برلين تجاه اليهود منذ اتفاقية لوكسمبورغ 1952.<sup>2</sup>

كما التزمت ألمانيا بمقتضى الاتفاقية الجديدة بتوفير رعاية صحية ومنزلية لمائة ألف من العجزة اليهود الذين ثبتت معاناتهم خلال حقبة الحكم النازي، ووحدت الاتفاقية الموقعة بين وزارة المالية ومؤتمر التعويض اليهودي الشروط المطلوبة للحصول على تعويضات، كما بسطت الاتفاقية هذه الشروط من إثبات التعرض للسجن أو العمل بمعسكرات السخرة أو الاختباء بالعهد النازي من 12 شهرا إلى ستة شهور. وعدّ شوبيله أن توحيد وتبسيط الاتفاقية الجديدة لشروط حصول اليهود على التعويضات يمثلان تجديدا من ألمانيا لاعترافها بمسؤوليتها التاريخية إزاء ضحايا الهولوكوست.

والتزمت الحكومة بمقتضى الاتفاقية التي وقعت في أيلول 1952 بدفع ثلاثة مليارات مارك (1,5 مليار يورو) خلال 12 عاما لإسرائيل، كونها وارثة حقوق اليهود ضحايا المحرقة، ووظفت ثل أرباب هذه الأموال حينذاك في توطین المهاجرين اليهود القادمين إليها، وهو ما أثار احتجاجات عربية وقتها.<sup>3</sup>

وقد نأت أكبر منظمة يهودية في ألمانيا بنفسها لأول مرة عن السياسات الإسرائيلية، وطالبت بعدم ربط الجالية اليهودية في ألمانيا بممارسات إسرائيل إزاء الفلسطينيين. فقد أعلن رئيس المجلس المركزي لليهود ألمانيا انه يشعر بـ "الخلج"

<sup>1</sup> ينظر الرابط:

[http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012/08/120831\\_german-racism.shtml](http://www.bbc.co.uk/arabic/worldnews/2012/08/120831_german-racism.shtml)

<sup>2</sup> جريدة الشرق الأوسط، 29 كانون الأول 2012.

<sup>3</sup> ينظر الرابط:

<http://www.classic.ipairaq.com/classic/index.php?name=inner&t=politics&id=64098>

من اليهود المتطرفين الذين تظاهروا في 31 كانون الأول/ديسمبر 2012 في القدس رافعين النجمة الصفراء<sup>1</sup>، الشعار الذي كان اليهود في ألمانيا النازية مجبرين على ارتدائه.

وقال ديتير جراومان "لقد صدمتني هذه المشاهد وأنا اشعر بالخجل تحديدا لقيام يهود وهكذا أعمال واستهزائهم بالمرحقة ". وأضاف إن ما قام به هؤلاء هو نكران للتاريخ وينم عن ذوق سيء جدا. وتابع " نحن يهود ألمانيا نقول باستمرار انه لا يجوز استغلال ذكرى المرحقة. إذا فعل هذا الأمر يهود فان هذا الأمر يجعله أكثر مدعاة للأسف ".

وتظاهر مئات اليهود المتشددين في 30 كانون الأول 2012 في معقلهم ميا شياريم في القدس ضد وسائل الإعلام التي يقولون أنها "عدوانية" ضدهم، في جو من التوتر بين أوساط المتدينين والعلمانيين في إسرائيل.

وقال وزير الدفاع الإسرائيلي ايهود باراك انه أمر "بثني الاستياء ومرعب على قيادة اليهود المتطرفين التي تبدو مسؤولة بشكل عام القضاء على هذه الظاهرة غير المقبولة ". من جهته، صرح مدير نصب محرقة اليهود افنير شاليف للإذاعة العامة " أدين ظاهرة استخدام رموز محرقة اليهود هذه، انه أمر غير مقبول ويشكل مساسا بذكرى المرحقة والقيم الأساسية لليهودية "<sup>2</sup>.

### الخاتمة :

توصل البحث إلى هدد من الاستنتاجات المهمة ومن بينها :

إن الوجود اليهودي في ألمانيا قديم ويعود إلى حقبة مبكرة، وقد حاول الملوك والأمراء الألمان الإفادة من ذلك الوجود، من خلال استخدام اليهود في العديد من الأعمال التي تخصص بها اليهود، ولاسيما مجال المال والأعمال، حتى أطلق عليهم في كثير من الأحيان رجال البلاط .

وأصيب ذلك الوجود بالعديد من الهزات والتراجع، وصولاً إلى المرور بالإبادة الجماعية في العهد النازي، وغرف الغاز التي أبادت أرقاماً مذهلة من اليهود .

تلك الإبادة التي حاول اليهود استخدامها أبشع استخدام، حتى أنهم قيدوا ألمانيا بقيود قد لا تتمكن من الخلاص منها، وأهمها عقدة الذنب التاريخي، تلك العقدة التي دفع ويدفع من خلالها الألمان المليارات من الدولارات لليهود كتعويضات عن عذابات تلك السنوات .

ويشهد الوجود اليهودي في ألمانيا في الوقت الحاضر تطوراً مهماً لاسيما بعد المتغيرات في بنية المجلس المركزي لليهود في ألمانيا، ومحاولات ذلك المجلس في إعادة صياغة العلاقة بين اليهود والدولة الألمانية .

<sup>1</sup> النجمة الصفراء هي نجمة داود وتسمى أيضا بخاتم سليمان، كما تسمى بالعبرية ماجين داويد بمعنى "درع داود" وتعَدُّ من أهم رموز الحضارة المصرية القديمة، والتي صارت فيما بعد رمز لهوية الشعب اليهودي. هناك الكثير من الجدل حول قدم هذا الرمز فهناك تيار مقتنع بأن اتخاذ هذا الشعار كرمز لليهود يعود إلى زمن النبي داود، ولكن هناك بعض الأدلة التاريخية التي تشير إلى أن هذا الرمز استخدم قبل اليهود كرمز للعلوم الخفية التي كانت تشمل السحر والشعوذة. وهناك أدلة أيضا على أن هذا الرمز تم استعماله من قبل الهندوسيين من ضمن الأشكال الهندسية التي استعمالوها للتعبير عن الكون . ونجمة داود أصبحت رمزا للشعب اليهودي في القرون الوسطى، هذا الرمز حديث مقارنة بالشمعدان السباعي الذي يعدُّ من أقدم رموز بني إسرائيل، وفي عام 1948 ومع إنشاء دولة إسرائيل تم اختيار نجمة داود لتكون الشعار الأساسي على العلم الإسرائيلي .

<sup>2</sup> ينظر الرابط: